وفاة ٤٠ الى ٥٠ شخصا ، ولم يسمح لي بالسفر الى القدس لانه كان هنالك حجر صحي على الطريق ، ولذلك اكرهت على البقاء في يافا . ولكن، من جهة اخرى ، كانت الفترة التي قضيتها من عمري في الجمنازيوم زاخرة بالسعادة ، حيث كنا فيها فتيانا وفتيات ، وكانت هناك المشاوير ودروس الغناء ، وكان صوتي جميلا ، وكان يسمح لي ، وبالاصح ، يطلب مني ان اغني في الجوقة هناك ، رغم انني لم اكن اعرف قراءة النوتة الموسيقية ، وحتى اليوم لا اعرف قراءة النوتة الموسيقية ، ولكنني اصبحت اعرف وافهم الموسيقى من مرافقة ابني في جولاته الحافلة بالموسيقى .

وقد التقيت في يافا برجل يدعى الدكتور شينكين الذي تربطني به ، بصورة او بأخرى ، علاقة عائلية ، وقد تودد لي واخذني في احد الايام الى الجمنازيوم، وقد اكتشفت يومها ، لاول مرة في حياتي ، بأن الصبيان والبنات يتعلمون سويا في مدرسة واحدة. وبين الحصة والاخرى كانت هناك فترة استراحة يستغلها الصبيان والبنات في الركض والقفز والغناء ومغازلة بعضهم بعضا والاستمتاع بالحياة .

ومن جهة اخرى كان لهذا الرجل ، الدكتور شينكين — الذي سأتحدث المزيد عنه فيما بعد ، ولكن هنالك أشياء اخرى كثيرة أهم لاتحدث عنها ، ولذلك لن أورد الا القليل عنه الان — كان له أكبر الفضل في تغيير مجرى حياتي ، اذ اقنعني بالانقطاع عن مدرسة الديانة اليهودية التقليدية (الارثوذكسية) ، وقد اصبح بوسعي ان التحق بالجمنازيوم لان جدي كان قد توفي في هذه الاثناء . وقد قلت للدكتور شينكين ، انني اعرف التلمود ، واعرف العبرية والانبياء ، وكتب التوراة الخمسة ولكنني لا اعرف شيئا من الجغرافيا او اللغة الفرنسية ، كما لا أعرف الحساب وما الى ذلك . لم أعرف ما يؤهلني للالتحاق بالصف الاعلى في الجمنازيوم ، واظن انه كان الصف الرابع ، اذ في كل سنة كانوا يضيفون صفا جديدا الى الجمنازيوم. وقد اقنعوني بالالتحاق بصف اعدادي يؤهلني للالتحاق بالصف الاعلى في الجمنازيوم ، وهو الصف الرابع الذي التحقت به فيما بعد ، حيث درست في الصف الرابع فالخامس فالسادس فالسابع فالثامن ومن ثم تخرجت مع اول دفعة من المتخرجين من الجمنازيوم . هنالك شيء واحد يلخص كل ما كنا نتعلمه في الجمنازيوم ، لقد كان هناك مدرسون جيدون ، ولم تكن هناك كتب دراسية بالعبرية ، ولكننا كنا ندرس التاريخ بالمحاضرات ، وكانوا يدرسوننا عن الانبياء اليهود. وكان احد معلمينا في الجمنازيوم رائعا ، ووسيما جدا ، وقويا جدا ، وكان يشبه كثيرا الدكتور هرتسل وكانا صديقين وزميلين في الدراسة الجامعية . وكان هنالك مدير الجمنازيوم الدكتور هاتمان ، واني أعجب من نفسي لانني ما زلت اذكر أسماءهم . كان هناك حوالي اثني عشر او اكثر من المدرسين الرائعين جدا . اما المدرس الوحيد الذي لم يكن ذا اهمية فكان عربيا لتدريس اللغة العربية بصورة شكلية لذر الرماد في العيون بأننا كنا ، كذلك ، ندرس العربية . وقد استغللت ، بدوري ، عدم اهميته ، ويؤسفني ان اقول بأنني لم ادرس اللغة العربية . ويرجع سبب ذلك الى انني لم أكن اعرف ما يكفي من اللغة الفرنسية ، بينما كان زملائي في الصف يعرفون منها اكثر مما أعرف ، فرغبت في الاستزادة من اللغة الفرنسية، ولذلك افردت معظم اوقات فراغي لدراسة اللغة الفرنسية لالحق بمستوى زملائي وزميلاتي وما كانوا يتحدثون عنه من قراءاتهم الفرنسية، واذكر انه كان هنالك كتيب عنوانه «تريز» او ما الى ذلك . وكان كتيبا فظيعا يصيب النفس بالغثيان ، الا انه كان مدهشا في الوقت ذاته ، وكان علي ان اقراه باللغة الفرنسية ، ولم اعرف ما يكفي من اللغة الفرنسية يومئذ ، ولذلك انكببت على دراستها .

ان ما ادهشني خلال تلك الفترة هو ما كان يسرب الى اذهاننا من خلال التعليم ، اذ كان هناك بيت شعر معين يحشر مع الدروس ويلقن لنا بمناسبة وبدون مناسبة ، فسواء كنا ندرس عن الانبياء ، او الادب العبري ، او تاريخ الصهيونية ، او اوضاع اليهود في فلسطين كانوا يلقنوننا « عمينو » اي « امتنا » ، ولكنهم كانوا يترجمونها بكلمة « شعبنا » . وانني الاحظ انهم يفعلون ذلك في الصحف ، فحيثما ترد في الصحف الكلمة العبرية « عمينو » يترجمونها « شعبنا » ليخبئوا ما يضمرون ، وفي واقع الامر ، ليس عندنا في العبرية كلمة مطابقة لكلمة « شعبنا » ، ولكنهم هكذا يترجمونها حيثما وردت ، مع انهم ينبغي ان يترجموها « أمتنا » ، ثم هنالك كلمة « ارتسينو » اي « أرضنا » وديارنا ، فكانوا يعلموننا « عمينو، ارتسينو » ، ثم جاءت كلمة كانت في منتهى الغباء، ولكننا اضطررنا الى بلعها ، وهي كلمة «مولادتينو»